ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [0.88].

التاريخ السياسي
لمملكة كوموخ الحيثية الحديثة

محمد رشاد جبر المقدم

مدرس التاريخ القديم المساعد

كلية الآداب

جامعة دمنهور – جمهورية مصر العربية

مُلَخّصْ

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على التاريخ السياسي لمملكة كوموخ منذ القرن التاسع ق.م، وحتى سقوطها على أيدي الآشوريين في عام ٧٠٨ ق.م، حيث يعد محاولة لفهم طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية التي سادت بين مملكة كوموخ والدويلات الحيثية الأخرى، كما يهدف في الوقت ذاته إلى رصد علاقة مملكة كوموخ بالقوى الكبرى المجاورة لاسيما آشور، حيث تبين من البحث أن كوموخ قد سلكت مسلكًا رمي إلى مهادنة الآشوريين في سياستها الخارجية، فبقيت بمعزل عن كثير من المحن، وجنت فوائد التجارة، كما كسبت بهذه السياسة الدعم العسكري الآشوري في صراعاتها الإقليمية مع الدويلات الحيثية المجاورة، ويستدل على ذلك من قيام الملك الآشوري أداد نيراري الثالث في عام ٨٠٥ ق.م بترسيم الحدود بين مملكتي كوموخ وجورجوم لصالح كوموخ في عهد ملكها شوبيلوليوما، وتكرر الشيء نفسه في عام ٧٧٣ ق.م على يد الملك الآشوري شلمنصر الرابع. وفي المقابل كان التحالف الآشوري مع كوموخ في غاية الأهمية أيضًا بالنسبة للآشوريين، ويعزي ذلك إلى سيطرة كوموخ على مخاضة بازارجيك، حيث اتاحت للآشوريين الوصول إلى الطرق الشمالية الغربية نحو جورجوم وجبال طوروس الغنية بالموارد المعدنية، زد على ذلك أن التحالف مع كوموخ كان بمثابة كبح جماح لقوة كركميش، حيث أصبحت الأخيرة بين الحليف الآشوري في الشمال والحضور العسكري الآشوري في تل برسيب في الجنوب. ثم ما لبث أن تغيرت الأوضاع الإقليمية بعد نجاح الملك الأورارتي ساردوري الثاني في فرض السيادة الأورارتية على مملكة كوموخ في عام ٧٤٦ ق.م، غير أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث سرعان ما استعاد سيادة بلاده على كوموخ، وذلك بعدما تمكن من هزيمة الأورارتيين في كشتان في عام ٧٤٣ ق.م، وبموجب هذه الهزيمة استردت كوموخ صفتها بوصفها العميل الآشوري المفضل، لدرجة أن سرجون الثاني أضاف إلي حاكمها موتاللي مملكة ميليد- عندما تم تقطيع أوصالها على أيدي الآشوريين في عام ٧١٢ق.م- كما منحه بعض أراضي سمعال، بيد أن هذه التبعية انتهت فجأة وبصورة وحشية، وذلك عندما امتنع موتاللي عن دفع الجزية للآشوريين، وأرتمى في أحضان الأورارتيين، الأمر الذي دفع سرجون الثاني للإطاحة بموتاللي، وتحويل كوموخ إلى مقاطعة آشورية في عام ٧٠٨ق.م.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٠ يونيو ٢٠١٦

تاريخ قبـول النشـر: ٢٧ نوفمبر ٢٠١٦

كلمات مفتاحية:

مملكة كوموخ، الدولة الآشورية، عصر الحديد ، الدولة الحيثية

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0045091

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد رشاد جبر المقدم. "التاريخ السياسي لمملكة كوموخ الحيثية الحديثة".- دورية كان التاريخية.- السنة العاشرة- العدد السابع والثلاثون: سبتمبر ٢٠١٧. ص٨٦ – ٩٦.

مُقَدِّمَةٌ

تشغل مملكة كوموخ في الوقت الحاضر مدينة أديامان الواقعة في جنوب شرق تركيا.[١] وكان يحدها من الشمال مملكة ميليد، في حين حدها من الجنوب مملكة كركميش، ومن الغرب مملكة جورجوم الحيثية، حيث كانت هناك حدود مشتركة بين كوموخ وجورجوم عند بازارجيك، وربما كان يحدها من الغرب أيضًا مملكة سمعأل وأرباد[٢]، ومن الشرق نهر الفرات، وبذلك تكون المملكة قد سيطرت على امتداد لا يُستهان به على طول الضفة الغربية لنهر الفرات.[٣] هذا وتذكر لنا المصادر المحلية والأجنبية المعاصرة بعض المدن التي تتألف منها مملكة كوموخ، حيث ذكرت المصادر المحلية المدن النهرية التي تعرف باسم ساريتا (Sarita)

وسوكيتا (Sukita)، في حين ذُكرت أويتا (Uita)، وبارالا (Parala)، وحلبا (Halpa) من قبل سارودوري الثاني ملك أورارتو (٧٥٦-٧٣٠ق.م)، بينما ذُكرت خلبا وكشتان من قبل تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م)، ولم يتم تحديد موقع أي منهما بشكل قاطع حتى الآن.[٤]

هناك مَنْ يرى أن كوموخ تُحدد بمدينة كوموها (Kummaha) المذكورة في النصوص الحيثية التي ترجع إلى العصر الحيثي الوسيط (١٤٥٠-١٣٥٠ ق.م)، لاسيما وأن الارتباط اللاحق مع ألذي (Alzi) وباخوا (Paḫḫuwa)[٥] وإيشوا (Išuwa)[٦] يجعل من التحديد أمرًا مقبولاً، ويُدعم هذه الفرضية أيضًا الإشارات الآشورية التي تعود إلى عهد توكلتي نينورتا الأول (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م)، والتي تظهر فيها أرض كوموخ عوضًا عن مدينة ألذي المعتادة، وهذا يعني ببساطة إنها كانت معروفة للآشوريين زمن الإمبراطورية الحيثية.[٧] في حين ذُكرت كوموخ في العصر الآشوري الحديث بصيغة (KUR/URU)،

kum/ku(-um)-muḫ/mu(-uḫ)-ḫa/ḫi

بينما جاءت في المصادر الأورارتية بصيغة كوموها (qu- KUR ma-ḫa)، وهي الصيغة التي تُطلق عليها في المصادر المحلية، أما في النصوص البابلية فقد ورد اسمها بصيغة كيموخي(Kimuḫi)،[٨] وفي العصرين اليوناني والروماني عُرفت المملكة باسم كوماجين (Commagene).[٩]

أما عاصمة المملكة، فكانت تُعرف أيضًا باسم كوموخ، والتي تُحدد في العصرين اليوناني والروماني بمدينة (Samosata) ساموساتا (Samsat سمسات المعاصرة).[١٠] وينبغي عدم الالتباس بين كوموخ وكومي (Kumme) الواقعة بالقرب من زاخو (Zakho) المعاصرة، كما ينبغي أيضًا عدم الخلط بينها وبين كتموخي (Katmuhu) الواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة بالقرب من سهل سيزر.[١١]

ملوك مملكة كوموخ في الفترة الحيثية الحديثة

ليس هناك شيءٌ معروف عن كوموخ في عصر البرونز المتأخر (١٥٥٠-١٢٠٠ ق.م) سوى أن موقعها بين الأراضي الحيثية والميتانية في النصف الأول من هذه الفترة، لابد أنه أعطاها بعض الأهمية الاستراتيجية في النزاعات السياسية بين المملكتين.[١٢] ولا تبين الأدلة الأثرية أو النصية بشكل قاطع ما إذا كانت المملكة قد تأسست في بداية عصر الحديد[١٣] أم لا؟،[١٤] حيث جاءت الإشارات الأولى لكوموخ بوصفها مملكة في السجلات الآشورية التي تعود إلى عام ٨٦٦ ق.م.[١٥] لكن من المحتمل أن تاريخها بدأ كمملكة فرعية تابعة لكركميش، حيث كانت كركميش تستحوذ على المنطقة الممتدة من إيمار في الجنوب، وحتى ملاطية في الشمال أثناء حكم كوزي تيشوب في بدايات القرن الثاني عشر ق.م، وبالتالي كانت تشكل جزءًا من مملكة كركميش خلال هذا العهد، واستمرت تابعة لمملكة كركميش حتى انفصلت عنها في بداية القرن التاسع ق.م.[١٦]

والجدير ذكره؛ أن أربعة من ملوك كوموخ الستة حملوا الأسماء نفسها، التي كان يحملها الملوك الحيثيون في عصر البرونز المتأخر، لذا فهناك مَنْ يفترض أن الملك المعروف باسم تودهاليا في نقش كيليكلي (Kelekli)،[١٧] والذي تزوج من ابنة ملك كركميش هو أحد حكام كوموخ، وإذ كان الحال على هذا النحو، فلا غرو أن أقرر بأن تاريخ كوموخ - كمملكة مستقلة - بدأ في القرن العاشر ق.م وليس القرن التاسع ق.م، حيث نقش كيليكلي يعود إلى القرن العاشر ق.م. وعلى أية حال، فيمكن رصد تاريخ كوموخ السياسي من السجلات الآشورية التي ترجع إلى عام ٨٦٦ وحتى عام ٦٠٥ ق.م، ومن حوليات ساردوري الثاني ملك أورارتو (٧٥٦-٧٣٠ق.م)، ومن النقوش الهيروغليفية اللوية[١٨]، ويمكن تتبع حكام كوموخ المعروفين من السجلات الآشورية والأورارتية والنصوص الهيروغليفية اللوية على النحو التالي:

١- هاتوشيلي أو قاتازايلي في المصادر الآشورية (٨٦٦-٨٥٤ق.م)

يُعَدّ أول ملوك كوموخ المعروفين في المصادر الأجنبية المعاصرة والمحلية على حد سواء، وتعود الإشارات الأولى لهذا الملك إلى عام ٨٦٦ ق.م، وذلك عندما عبر الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٨ق.م) نهر البليخ في طريقه إلى (Khuzirina) خوزيرينا (Sultantepe سلطان تبه الحالية)، حيث تلقى الإتاوة والتبعية من مناطق متعددة، بما في ذلك كوموخ في ظل زعامة ملكها هاتوشيلي. وتشير الإتاوة التي قدمها هاتوشيلي للآشوريين إلى أن كوموخ كانت ثرية بأخشاب الأرز والمعادن لاسيما الفضة والحديد،[١٩] وهو ثراء ظل معروفًا عن المنطقة التي كانت قابعة على أرضها مملكة كوموخ حتى عهد قريب، غير أن الإنسان المعاصر بدأ في تقطيع هذه الأخشاب واستخدمها كوقود.[٢٠]

ولم تتغير سياسة هاتوشيلي تجاه الدولة الآشورية بمجرد أن اعتلى عرشها ملك جديد، بل ظل محافظًا على ولائه للملك الآشوري الجديد شلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)، حيث خضع له دون قتال في عام ٨٥٨ ق.م، وذلك عندما عبر شلمنصر الثالث نهر الفرات في طريقه إلى باقرخوبونو[٢١] (/Paqirahubuna Paqaraḫubunu) وجورجوم.[٢٢] وفي العام التالي قدم للدولة الآشورية إتاوة من الأخشاب والفضة، حيث تذكر المصادر الآشورية أن كوموخ زودت آشور في ذلك العام ب ٢٠ مينا من الفضة، إلى جانب (٣٠٠) قطعة من خشب الأرز،[٢٣] وعلاوة على ذلك لم تظهر كوموخ أي نشاط معادٍ للآشوريين، بل على العكس من ذلك، كانت لها ميول واضحة نحو سياسة الآشوريين في المنطقة.[٢٤]

٢- كونداشبي

تولى كونداشبي حكم كوموخ بعد هاتوشيلي، ومن غير المعروف عما إذا كان ينتمي إلى أسرة هاتوشيلي أم لا، حيث لم ينسب له أية نقوش توضح العلاقة بينهما، ولكن يمكن القول أنه في حالة عدم وجود وريث للعرش من الدم الملكي، فإن السلطة قد تم تمريرها إلى صهر من خارج العائلة المالكة، والذي أقر عن طريق الزواج منها.[٢٥] وكيفما كان الأمر، فمن المرجح جدًا أن ارتقاءه إلى العرش حدث في الفترة الممتدة بين عامي (٨٥٧- ٨٥٣) ق.م، حيث تعود الإشارة الأخيرة للملك هاتوشيلي إلى عام ٨٥٧ ق.م،[٢٦] ولم يُذكر كونداشبي إلا في عام ٨٥٣ ق.م، وذلك عندما بدأ شلمنصر الثالث تأكيد سيطرته على شمال سوريا، من خلال حملة عسكرية، لم تكن هي الأولى من نوعها، بل سبقها عددٌ من الحملات الأخرى في شمال سوريا، وكان من ثمار هذه الحملة أن تلقى الملك الآشوري الضرائب في مدينته الجديدة "أنا - آشور- اوتر- اصبات"[٢٧] من بعض حكام الدويلات الحيثية الحديثة[٢٨] بما في ذلك حاكم كوموخ المدعو كونداشبي الذي قدم الضرائب له بمحض إرادته.[٢٩]

ومن الجلي البين؛ أن كوموخ قد سلكت مسلكًا رمى إلى مهادنة الآشوريين، فبقيت بمعزل عن كثير من المحن، وجنت فوائد التجارة، وحافظت على استقلالها، على عكس عدد من الدويلات الحيثية والآرامية، التي انتهجت سياسة مناهضة للدولة الآشورية في ذلك الوقت، على سبيل المثال لا الحصر بيت عديني التي فقدت استقلالها في عام ٨٥٦ ق.م من جراء سياستها المناهضة للمصالح الآشورية في المنطقة.[٣٠] وبالمثل كان التحالف الآشوري مع كوموخ في غاية الأهمية أيضًا بالنسبة للآشوريين وقتذاك، ويعزي ذلك إلى سببين، أولهما: سيطرة كوموخ على مخاضة بازارجيك، حيث اتاحت للآشوريين الوصول إلى الطرق الشمالية الغربية نحو جورجوم وجبال طوروس الغنية بالموارد المعدنية، أما ثانيهما: فهو أن التحالف مع كوموخ كان بمثابة كبح جماح لقوة كركميش، حيث أصبحت كركميش بين الحليف الآشوري في الشمال والحضور العسكري الآشوري في تل برسيب في الجنوب.[٣١]

٣- شوبيلوليوما أو أوشبيلولوما في المصادر الآشورية (٨٠٥-٧٧٣ق.م)

ليس هناك نقوش تشير إلى الفارق الزمني بين نهاية عهد كونداشبي واعتلاء شوبيلوليوما للعرش الكوموخي، ولكن إذا نمى إلى علم القارئ أن شوبيلوليوما قد شغل عرش كوموخ حتى عام ٧٧٣ق.م، فإن ذلك ربما يشير إلى أن ملك واحد يجب أن يكون قد سبقه على الأقل بعد وفاة كونداشبي.[٣٢] وعلى أية حال، فقد استمرت كوموخ على ولائها للآشوريين في هذا العهد، ويُستدل على ذلك من مسلة بازارجيك،[٣٣] والتي تشير إلى أن ملك كوموخ المدعو شوبيلوليوما استدعى الملك الآشوري أداد نيراري الثالث ووالدته[٣٤] لدعمه ضد أتارشومكي حاكم أرباد وثمانية من حلفائه في عام ٨٠٥ ق.م،[٣٥] حيث يذكر النص ما يلي:

"عندما حمل أوشبيلولوما، ملك الكوموخيين أدد-نيراري ملك آشور، (و) سميراميس سيدة القصر، على عبور الفرات، خضتُ معركة ضارية ضدهم-ضد أتارشومكي ابن أدرامو(حاكم) مدينة أرباد، فضلاً عن ثمانية ملوك كانوا معه في مدينة باقاراخوبونو، واستوليتُ على معسكرهم، ولكي ينجوا بأرواحهم اختفوا.(و) في هذا العام (ذاته) أقاموا هذا الحد الحجري بين أوشبيلولوما ملك الكوموخيين وقالبارودا (Qalparuda) ابن بالالام (Palalam) ملك الجرجوميين"[٣٦]

وهناك نص[٣٧] آخر يؤكد على سيطرته على ملك أرباد: "[بأمر من آشور] حشدت معسكري (ثم) [أمرت بالزحف] نحو أرض حاتي. عبرت الفرات أثناء الفيضان (ثم) نزلت [الى ....] بونا . أتارشومكي، [ابن أدارمو(...) فضلاً عن] ملوك أرض حاتي الذين تمردوا و [احتفظوا بالاتاوة (...)] ... خلال عام واحد أخضعت أرض حاتي برمتها ...".[٣٨]

ويُعَدّ هذا دلالة واضحة على التدخل الآشوري في الصراع الإقليمي لصالح الموالين لسياسة الآشوريين، حيث رفض ملك كوموخ في ذلك الوقت الانضمام لأي تحالف مناهض للآشوريين،[٣٩] واختار أن يبقى مخلصًا لآشور، فما كان من الملك الآشوري أداد نيراري الثالث، إلا أن قام بترسيم الحدود بين كوموخ وجورجوم لصالح كوموخ.[٤٠] ويبدو أن التسوية التي فرضها أداد نيراري الثالث لم تنهِ هذا الصراع بشكل حاسم، وإنما كانت بمثابة ردع مؤقت، حيث تدخل شلمنصر الرابع نجل أداد نيراري الثالث مرة ثانية لصالح كوموخ في عام ٧٧٣ق.م، وذلك حينما أرسل التورتان شمشي إيلو لإعادة تأكيد التسوية الأولى، بعد حملته ضد Hadiani ملك دمشق، فقد جاء في المصادر الآشورية ما يلي: "في أثناء عودتي (من دمشق) منحت هذا الحد الحجري لأوشبيلولوما ملك الكوموخيين".[٤١]

ويشير ذلك إلى استنتاج مفاده أن الادعاءات الإقليمية لمملكة جورجوم لم تتوقف بعد تسوية عام ٨٠٥ ق.م، وربما استمرت أيضًا بعد تسوية عام ٧٧٣ق.م، [٤٢] كما يشير في الوقت ذاته إلى أن التورتان شمشي إيلو أظهر دورًا دبلوماسيًا بارزًا حينذاك، حيث توضح إعادة ترسيم الحدود بين كوموخ وجورجوم إدراكه للسياسات المحلية، وتأثيرها على المصالح الآشورية.[٤٣] أما عن سياسة شوبيلوليوما الداخلية، فليس هناك نقوش تروي أعماله الداخلية سوى النقش الذي يُنسب لزوجته اهتمامها بالآلهة والمعابد، حيث يخبرنا نقش بوي بِيَبناري.[٤٤] أن پاناموواتي (Panamuwati) زوجة شوبيلوليوما قامت بإنشاء عرش ومنضدة للإلهة كوبابا،[٤٥] وربما كان هذا بتشجيع ورعاية زوجها الملك شوبيلوليوما.

٤- هاتوشيلي الثاني

اعتلى عرش كوموخ بعد الملك شوبيلوليوما نجله هاتوشيلي الثاني، ويظهر ذلك واضحًا في النقش الذي كتبه رجلٌ يُدعى أتايازا (Atayaza)، والذي يصف نفسه بخادم هاتوشيلي.[٤٦] وعلى الرغم من قلة النقوش التي تُنسب إلى عهد هذا الملك، غير أنها تنفرد بذكر اسم المملكة للمرة الأولى في النقوش اللوية الهيروغليفية، وعلاوة على ذلك، تروي هذه النقوش أن مملكة كوموخ كانت تضم مدينتين تُعرفان باسم ساريتا وسوكيتا، والتي يمكن تحديد موقعهما بالقرب من مالبينار Malpinar الواقعة عند إلتقاء نهر الفرات بنهر جوكسو.[٤٧] أما فيما يتعلق بمأثر عهده، فلم يعثر المنقبون حتى الآن على أية نقوش تتحدث عن سياسته الداخلية أو الخارجية.

٥- كوشتاشبيلى

تولى عرش كوموخ بعد هاتوشيلي الثاني، وأُجبر على التخلي عن الدولة الآشورية، والانضمام إلى ساردوري الثاني ملك أورارتو،[٤٨]عندما تحركت القوات الأورارتية في عام ٧٤٦ أو ٧٤٤ قبل الميلاد إلى مملكة كوموخ، ونجحت في إحراز نصر عسكري دفع كوشتاشبيلى للإذعان للملك الأورارتي، و تقديم فروض الولاء والطاعة،[٤٩] فقد جاء في النص ما يلي: "لقد خرج المعبود خالدي (في حملة) بسلاحه؟ وانتصر على بلاد كوماخالخي، وأسقطها أمام ساردورى ابن أرجيستي: خالدي قوى، أسلحة الإله خالدي قوية، خرج ساردورى ابن أرجيستي (فى حملة). يقول ساردورى: كوشتاشيبلى ملك بلاد كوماخا كان مستقلاً، ولا أحد من ملوك (أورارتو) كان هناك. يقول ساردورى ابن أرجيستي: تضرعت إلى المعبود خالدي، الرب، وإلى المعبود تيشبا، وإلى كل آلهة بلاد بيانائيلى، بما أردت فعله في البلاد المعادية، استمعت الآلهة إلى طلبي، و فتحت الطريق أمامي، فخرجت (في حملة) ضد بلاد كوماخا، مدينة أويتا[٥٠]، المدينة الملكية أخذتها حربًا، استوليتُ على مدينة حلبا،[٥١] المدينة الملكية الواقعة في منطقة بحيرات، استوليتُ على مدينه بارالاني.[٥٢] جاء كوشتاشبيلي أمامي راكعًا، منحته الحياة وأعطى لي جزية من ٤٠ مينا من الذهب النقي، ٨٠٠ مينا من الفضة، ٣٠٠٠ (قطعة) ثياب و٢٠٠٠ من الألواح النحاسية، و١٥٣٥ من الأوعية النحاسية..."[٥٣]

ويلاحظ؛ أن النص يتضمن إشارات ذات مغزى تتفق وما نحن بصدد الحديث عنه، فهو يشير بوضوح إلى ثراء كوموخ، والذي كان حافزًا للأورارتيين للقيام بهذه الحملة، كما يمكن للمرء أن يفترض أن هذه الحملة كانت حصيلة سياسة كوموخ الدائمة الموالية لآشور، والتي بسببها اضطر كوشتاشبيلى إلي الانضواء تحت لواء الدولة الأورارتية،[٥٤] لاسيما وأن القائد الآشوري شمشي إيلو لم يُحَرِّكْ سَاكِنًا أمام الغزاة الأورارتيين؛ بسبب حالة الضعف[٥٥] التي كانت تدب في أوصال الدولة الآشورية وقتذاك.[٥٦] ويرى بعض الباحثين أن سارودرى لم يكن يرمى من وراء هذه الحملة إلى تأسيس حكم عسكري أورارتى في المنطقة، وإنما عمد إلى خلق تغيير في التركيبة القبلية والعصبية للمنطقة، من خلال السياسة التي عُرفت باسم سياسة التهجير والتوطين القسرية، والتي بتطبيقها نجح في تحقيق استفادة اقتصادية كبيرة في تلك المنطقة، وبفرض السيطرة الأورارتية على كوموخ، نجحت أورارتو في فرض سيطرتها على مسافة كبيرة من الطريق التجاري إلى البحر الأبيض المتوسط.[٥٧] غير أن أورارتو لم تحاول إقامة عناصر التحكم في شمال سوريا، بما في ذلك المستوطنات الآشورية التي تُركت على حالها، والنتيجة المتوقعة لمثل هذه السياسة هي أنه بمجرد أن يرتقي حاكم قوى على عرش آشور، فإن ذلك سيدفع ميزان القوى إلى اتجاه مغاير لصالح الآشوريين.[٥٨]

وفي عام ٧٤٥ قبل الميلاد ارتقى تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ق.م) إلى العرش الآشوري بعد مقتل آشور نيراري الخامس من جراء ثورة القصر،[٥٩] وقد عمل الملك على إعادة الإمبراطورية الآشورية إلي سابق عهدها، ليس فقط لمواكبة المد التوسعي الأورارتي، وإنما لاستعادة تواجدها التاريخي في شمال سوريا لاسيما كوموخ، حيث نظر تجلات بلاسر إلى ممالك شمال سوريا وشعوبها، على أنها جزءٌ لا يتجزأ من إمبراطورية الآشوريين.[٦٠] وفي الواقع، إن الأمر كان جد صعبًا على الآشوريين، بعد أن نجحت أورارتو في خلق عدد من التكتلات والتحالفات المناهضة لهم، وبعد أن صارت الحاميات الأورارتية تتمركز قاب قوسين أو أدنى من العاصمة الآشورية، إذ كانت تتمركز في أقصى جنوب جبال طوروس فيما يعرف اليوم باسم كودي داغ.[٦١]

وقد كان لزامًا على تجلات بلاسر الثالث من أجل إحياء دولته أن يعمل على إعادة تنظيم البيت من الداخل أولاً، حيث عمل على إعادة تنظيم الجيش والإدارة، وعمد تجلات بلاسر إلى تقوية السلطة المركزية، وذلك بربط المقاطعات المختلفة مع العاصمة بنظام بريد سريع وفعال، وطلب من الموظفين في هذه المقاطعات إرسال تقارير عن أعمالهم وأحوال مقاطعاتهم، وفي المناطق التي كانت تحكمها أسر محلية، عين تجلات بلاسر الثالث ممثلاً له يشرف على كيفية إدارة هذه الأسر لمناطقها، ومدى التزامها بتنفيذ توجيهات السلطة المركزية.

وفي مجال الجيش، اعتمد تجلات بلاسر الثالث على جيش يخضع للملك مباشرة، ويتلقى أفراده أجورهم من الخزانة الملكية مباشرة، وهذا الأمر عدا عن أنه رفع بالمستوي القتالي للجيش، فقد جعل من الملك أكثر استقلالاً تجاه المدن والمقاطعات التي كانت تقوم بتقديم الجند حين يطلب منها ذلك. أما من ناحية التسليح، فقد بدأ الآشوريون في الاعتماد أكثر على الأسلحة الحديدية وأصبح سلاح الخيالة هو الأساس، وحل هذا السلاح تدريجيًا محل سلاح العربات؛ لسهولة حركته وقدرته على إلحاق ضربات مفاجئة وقاضية بالأعداء. والأمر المهم الآخر هو إقامة جهاز للاستطلاع والتجسس على الأعداء.[٦٢]

وقبل أن يتوجه تجلات بلاسر الثالث لمواجهة الأورارتين حاول تقوية جناحه الشرقي، وذلك بإعادة إخضاع بلاد المانيين للسيادة الآشورية، بعد فترة غياب عنها وحملات متكررة من قبل الأورارتين ضدها، فأرسل إلى منطقة زاجروس حملات خلال العامين الأولين من حكمه، أعاد بنتيجتها فرض السيادة الآشورية على هذه المناطق.[٦٣] بعد ذلك عمد تجلات بلاسر الثالث إلى مواجهة التحالف الأورارتي السوري المناهض للدولة الآشورية، والتي كانت كوموخ عضوًا فيه، حيث تشير النصوص الآشورية إلى أن الملك الأورارتي ساروردي الثاني نجح في تكوين تحالف مناهض للآشوريين، مؤلف من متيع إيلو من بيت أجوشي، وسولومال الميليدي وطازخولار الجورجومي، وكوشتاشبيلي الكوموخي [٦٤]، بيد أن هناك ثمة سؤال يثيره منطق الأحداث وهو: كيف تمكنت أورارتو من خلق هذا التحالف ؟ أو لماذا زحف ساروردي لمنازلة الآشوريين في أرفاد البعيدة جدًا عن بلاده، وذلك في عهد آشور نيراري الخامس، ثم أعاد الكرة ثانية في عهد تجلات بلاسر الثالث؟ علمًا بأنه لم تكن له ثمة علاقة تربطه بدولة أرفاد، لا قبل حملاته على جيرانه الكوموخيين والميليتينين ولا بعدها.

للإجابة على هذين السؤالين، لابد أن تتجه الأبصار إلى كركميش، فساروردي لا يشير إليها في كتاباته، والآشوريون لا يتحدثون عنها من قريب أو بعيد، علمًا بأن هذه المدينة كانت واقعة في خضم الأحداث، ويأتي على ذكرها نص حيثي عُثر عليه في "جكة" حيث يؤكد كاتب النص أن كاماناس ملك كركميش لم يكن حاكما تابعًا لساروردي مثل حاكم "جكة" وكأن الكاتب أراد أن يقول في هذا النص، أن كاماناس وساروردي كانا ندين قويين تربط بينهما صداقة ويتعاملان على هذا الأساس.[٦٥]

وفيما يتعلق بتمكن ساروردي من فتح كوركوم (مراش) المجاورة لبلاد مليتنه (ملاطية) في الجنوب الغربي ومدينة سمأل (زنجرلي الحالية)[٦٦] فإن ذلك غير معروف، إذ لم يسبق أن افتخر الأورارتيون بإحراز مثل هذا النصر، ويشكك بعض الباحثين في حدوثه، وإذا كان المليتنيون والكوموخيون قد انضموا إلي ساروردي لمساعدته في حربه ضد الآشوريين في أرفاد، فإن كوركوم وسمعأل "قد انضمتا بمحض إرادتيهما لهذا التحالف[٦٧] تحت تأثير شخصية ساروردي الفذة التي استقطبت حولها زعماء الشعوب الأخرى،[٦٨] أو ربما هذه الدويلات قد شعرت بشيء من صلات الجنس والثقافة مع أورارتو.[٦٩]

وعلى أية حال؛ فقد كانت استراتيجية تجلات بلاسر لضرب خصومه تتراوح بين اختيارين لا ثالث لهما، فإما أن يعبر الجبال ويضرب أورارتو في عقر دارها، وإما أن يضربها في مناطق نفوذها في شمال سوريا، وفي الواقع كان تجلات بلاسر بعيد النظر، عندما قرر عدم مواجهة أورارتو في البداية، رغم كونها الرأس المدبر لهذه التحالفات، و ذلك لسببين: أولهما، إنه إذا نجح في طرد الغزاة فإنه سيصبح في إمكانه إجبار تلك الدويلات المتمردة على تقديم فروض الولاء والطاعة لصاحبة السيادة الجديدة آشور ونبذ ولائها لأورارتو، وثانيهما، أنه بهذه الوسيلة سيقطع الصلة[٧٠] بالدويلات الواقعة في شمال سوريا ومركز الدعم أورارتو، وقد أصبحت هذه الإستراتيجية من أهم الإستراتيجيات المفضلة لدى خلفاء تجلات بلاسر الثالث.[٧١]

ووقعت أول مواجهة بين الطرفين على ما يُعتقد في العام الثالث من حكم تجلات بلاسر الثالث حوالي عام ٧٤٣ قبل الميلاد[٧٢]، وقد بدأ تجلات بلاسر هجومه في شمال سوريا بحصار أرباد التي استغاثت بالملك الأورارتي ساروردي الثاني، وكما هو معروف سارع ساروردي لنجدة أرباد، وخرج على رأس قوته من الطريق نفسه الذي سلكه في حملة عام ٧٤٦ قبل الميلاد؛ لسبب بسيط هو أن هذا الطريق هو الوحيد المتاح، ومن قلعة توميشكي عبر نهر الفرات حيث كان النهر ضيقًا نسبيًا، وكانت هناك نقطة عبور من سوفيني (Sophene) إلي ميليتنه التي انضمت قواتها إليه أثناء زحفه، ثم ذهب عبر ممرات طوروس إلي داخل كوموخ، حيث انضم إلي قوات جورجوم وكوموخ. ويوضح الصدام الأول الذي دارت رحاه بين ساروردي الثاني وتجلات بلاسر الثالث داخل كوموخ، أن تجلات بلاسر الثالث كان حذرًا من التقدم الأورارتي، فبمجرد أن نمى إلى علمه خبر عبور الأورارتين نهر الفرات، حتى قطع حصار أرباد، وقاد جيشه إلى كوموخ.[٧٣]

حدثت المعركة الحاسمة بين كشتان وخلبا في أرض كوموخ، وهناك مَنْ يرى أن كشتان يجب أن تقع بالقرب من أرباد، ولو أن بيسني(Besni)[٧٤] تتماثل مع بارالا، فإن الموقع المحتمل لكشتان هو كيسَنْ (keysun) على بعد ١٤ كيلومترا من بيسني، والسبب في ذلك يعزي ليس إلى السجع الطفيف في الأسماء فحسب، وإنما لكون كيسَنْ تقف على تلة كبيرة تشهد على وجود مدينة كبيرة هناك.[٧٥] ويفترض بعض الباحثين أن القوات الأورارتية والآشورية صنعت أول لقاء لهما في كيسَنْ في نقطة تقاطع طريقين قديمين، أحدهما الذي استخدمه تجلات بلاسر أثناء حملته شمالا ولعب دورًا مهمًا في الحروب العربية البيزنطية في أوائل العصور الوسطي.

وإنه من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن المسافة التي قطعها الجيش الأورارتي من هايبيوشاغى إلى كيسَنْ حُددت بنحو 210 كيلو متر تقريبًا، وبسبب الطبيعة الوعرة لهذا الطريق فإن متوسط السير يوميًا لم يتجاوز 20 كيلو متر، لذلك تطلبت المسيرة نحو 10 أو 11 يوم، أما بالنسبة لجيش تجلات بلاسر فقد اجتاز نحو 150 كيلو متر من أرباد إلى كيسَنْ، في ظل ظروف جغرافية غير معقدة، لذا فإن الطريق تم اجتيازه في غضون ستة أيام.[٧٦]

هذا وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة منكرة أودت بزهرة فرسان الحلفاء، وكان وقوعها وقع الصاعقة فوق رؤوس الأورارتين، ولطمة قاسية لأمالهم وأحلامهم وأطماعهم في المنطقة، وإذلالا لهيبتهم وكرامتهم، وتعزي الهزيمة هنا إلى عدة أسباب، منها (أولاً) نقص التعاون بين أعضاء التحالف، ومنها (ثانيًا)

الأورارتيون كانوا عديمي الخبرة بمعركة في ميدان مفتوح؛ لأنهم كثيرا ما اعتادوا القتال في المناطق الجبلية[٧٧]، ومنها (ثالثًا) كثرة مشاغل سارودري بسبب المصاعب التي كان يثيرها الملوك الصغار في المناطق الشمالية، فهم وإن كانوا صغارا وليس من ذوي الشأن، فإن أعمالهم وفتنتهم كانت تقلق راحة الدولة الكبيرة،[٧٨] (وأخيرًا) خيانة كوشتاشبيلي الذي أُجبر على الانضمام إلى التحالف المناهض للآشوريين لحلفائه، ومساعدة تجلات بلاسر على النصر.[٧٩]

وبناءً على ذلك؛ فقد تسبب الاشتباك الأول في تراجع الجيش الأورارتي الذي عاد من حيث أتي، وبمجرد أن وصل إلى تقاطع الطرق في بيسني، انفصلت فرقة كوموخ عنه، وهربت في اتجاه عاصمتها، وعملت فرقة جورجوم الشيء نفسه في خلبا، حيث طريق وادي أكسو (Aksu) الذي يؤدي إلى جورجوم، ثم عبرت نهر جوكسو(Goksu)، وفر سارودري من جبل سيباج (sibag) إلى سهل ملاطية التي انسلخت عنده قوات ميليد، في حين استطاع سارودري استباق ملاحقة الآشوريين، وأن يصل ويعبر ويزيل الجسر بين الفرات ودولة سارودري، قبل أن يصل تجلات بلاسر، ولكن ظهور تجلات بلاسر في مليتنه، كان بمثابة بداية الوجود الآشوري في هذه المنطقة، بعد انقطاع واصب ردحًا من الزمن.[٨٠]

ولا ريب أن نتائج هذه الحملة كانت في غاية الأهمية، حيث ترتب عليها نتيجتان بالغتا الأهمية:

الأولى: دفع سارودري إلى المرتفعات الأرمينية، ومنذ هذا الوقت لم يعد يمارس أي تأثير حقيقي في سوريا، فلم تستطيع أورارتو أن تعود إلى سابق عهدها في شمال سوريا[٨١] رغم أن ملوك أورارتو ظلوا مدعومين من ملوك تلك الدويلات التي وفرت لهم وقت الحرب مع الآشوريين مجالاً للحركة، وظلت تلك السياسة التي انتهجها ملوك أورارتو في تلك المنطقة تأتي أكلها لوقت طويل.[٨٢]

والثانية: كان لهذه الهزيمة أثر عظيم في تمهيد الطريق أمام تجلات بلاسر الثالث لإخضاع شمال سوريا، وإن كنا لا نعني بذلك أن سكانها استكانوا للأمر الواقع، واعترفوا بهزيمتهم، فقد كان على تجلات بلاسر الثالث أن يجدد هجومه على أرفاد، وينتقم من جورجوم وكوموخ وغيرها لمدة ثلاث سنوات مضت وهو ما كان، حيث شهدت أعوام (٧٤٢ – ٧٤٠) ق.م حملات متتالية؛ بهدف القضاء على تحالف شمال سوريا، وبالتالي إخراج أورارتو من هذه المنطقة.[٨٣]

وفي أعقاب هذا النصر منح تجلات بلاسر الثالث العفو لكوشتاشبيلي، وثبته على عرش كوموخ كتابع للدولة الآشورية، وربما جاء ذلك بسبب ولائه الكامن رغم خضوعه لأورارتو، وظهر كوشتاشبيلي في قوائم الملوك الخاضعين لتجلات بلاسر الثالث في عام (٧٤٠/ ٧٣٩) ق.م أثناء حملة الملك الآشوري على آرام دمشق و ملك صور وغيرها، وفي عام ٧٣٨ق.م، وأخيرًا في عام ٧٣٢ ق.م.[٨٤] ولم يقتصر الأمر على تقديم الإتاوة للآشوريين في ذلك الوقت فحسب، بل تعين على كوموخ مساعدة الآشوريين في تثبيت دعائم دولتهم في سوريا، حيث يذكر حاكم دمشق ـ بعد أن تحولت إلى مقاطعة آشورية في عام ٧٣٢ق.م ـ أن ٢٠٠٠ من محاربي ملك كوموخ كانوا جزءًا من القوات الآشورية في مقاطعته.[٨٥]

٦- موتاللي

هو الحاكم الأخير لكوموخ، قبل أن يتم دمجها في نظام المقاطعات الآشورية، وربما كان الخليفة المباشر لكوشتاشبيلي، وإذا كان الأمر كذلك، فإن عهده امتد لفترة طويلة، حيث استمر حتى عام ٧٠٨ ق.م. ولعل تسمية أسلافه بأسماء ملوك الدولة الحيثية في العصر البرونزي المتأخر، يشير إلى أن الأسرة الملكية في كوموخ منذ بدايتها إلى نهايتها ربما كانت فرعًا من العائلة الملكية الحيثية التي حكمت الأناضول في عصر البرونز المتأخر.[٨٦]

وعلى أية حال، فقد استردت كوموخ صفتها في هذا العهد بوصفها العميل الآشوري المفضل، لدرجة أن سرجون الثاني أضاف أراضي مملكة ميليد- عندما تم تقطيع أوصالها على أيدي الآشوريين في عام ٧١٢ق.م- إلى ممتلكات موتاللي، كما منحه بعض أراضي سمعأل، [٨٧] وبذلك كان موتاللي الحاكم الكوموخي الوحيد الذي امتد سلطانه على كلٍ من ملاطية وأرسلان تبه و "ساكاپا- جوزو" (Sakapa-GÖzü)، الأمر الذي جعل كوموخ تمثل دور الدولة الحاجزة التابعة لآشور ضد تقدم الأورارتيين.[٨٨]

بيد أن هذه الشراكة ذات المنفعة المتبادلة انتهت فجأة وبصورة وحشية، عندما امتنع موتاللي عن دفع الإتاوة للآشوريين، وارتمى في أحضان الأورارتيين بزعامة أرجيستي الثاني، حيث يسجل النقش الآشوري ما يلي: "هذا الصبي الذي لا يعرف الخجل، لم يعد يخشى الآلهة، وطاب له الشر، وبدا يحيك المؤامرات ويستعديني، ووضع كل ثقته في أرجيستي ملك أورارتو، إلا أن فأله خاب ومسعاه فشل... ".[٨٩]

وكان من أثر ذلك أن فقدت كوموخ استقلالها، حيث لم يقف سرجون الثاني مكتوف اليدين تجاه خيانة موتاللي، بل جرد حملة عسكرية على كوموخ، نجحت في الإطاحة بالأسرة الملكية، حتى أن موتاللي ولى مدبرًا ولم يعقب،[٩٠] وسعى الآشوريون بعد هذا الصنع إلى ترحيل أسرى كوموخ، وإعادة توطينهم على طول الحدود مع عيلام في بيت إياكن (Bit-Iakin).[٩١] وهكذا أصبحت كوموخ مقاطعة آشورية، ووقعت تحت حكم تورتان اليسار؛ بهدف إحكام السيطرة الآشورية على الحدود الشمالية الغربية، وواصلت كوموخ تاريخها باعتبارها مقاطعة آشورية من عام ٧٠٨ق.م وحتى سقوطها في أيدي البابليين في عام ٦٠٧ق.م.[٩٢]

فمن أجل تأمين طرق التجارة في بلاد سوريا، سار الملك نبوبلاصر في شهر تشرين الأول عام ٦٠٧ ق.م بقواته إلى كيموخو

التي تتميز بموقع استراتيجي مهم؛ إذ أنها تتحكم في الطريق الذي يربط شمال سوريا بجنوبها، مارًا بحماة إلى كركميش (جرابلس حاليًا)، وبعد أن عبر نهر الفرات اشتبك مع المدينة، وتمكن من الاستيلاء عليها، ووضع حامية عسكرية هناك، وبعد أن مكث في المدينة فترة من الزمن، ربما من أجل مراقبة سير الأمور فيها عن كثب، قفل راجعًا إلى بابل في شهر شباط (فبراير) وهو محمل بالغنائم،[٩٣]حيث تذكر المصادر البابلية ما يلي:-

"السنة التاسعة عشرة: في شهر سيفان sivan حشد ملك أكد جيشه، وحشد نبوخذ نصر (الثاني) ابنه البكر(و) ولي العهد جيشه، وسارا إلى جبال[...za]. ترك ملك أكد الأمير وجيشه هناك، في حين أنه عاد إلى بابل في شهر تموز.....[في شهر] أيلول عاد الأمير إلى بابل بعد أن أنهى نبوخذ نصر الثاني معاركه ضد [القلاع] واستولى عليها [وأضرم النار فيهن] (و) سلب كل الجبال واستولى على كل الجبال حتى منطقة [أورارتو]. وفي شهر تشري حشد ملك أكد جيشه وسار[إلى] كيموخو التي تقع على ضفة نهر الفرات، وعبر النهر واشتبك مع المدينة، وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) استولى على المدينة ونهبها، وأقام حامية له فيها، وفي شهر شباط عاد إلى الوطن".[٩٤]

ويبدو أن المصريين لم يحتملوا فكرة سيطرة البابليين على هذا الطريق التجاري المهم، لذا زحف الجيش المصري في عام ٦٠٦ق. م باتجاه الحامية البابلية في مدينة كيموخو، وفرض الحصار عليها، وبعد أربعة شهور من الحصار تمكن الجيش المصري من الاستيلاء على المدينة، وهزم رجال الحامية البابلية، وإزاء هذا التطور الخطير سار الملك نبوبلاصر في شهر تشرين الأول(أكتوبر) من السنة نفسها لصد المصريين، وعسكر في مدينة قورماتي التي تقع على نهر الفرات جنوب كركميش، ثم جعل جيشه يعبر ويستولي على شونايري وإيلامو ودخامو (تقع جميع هذه المدن على الضفة اليسرى من نهر الفرات)، وفي شهر شباط (فبراير)عاد إلى بلاده وهو محمل بالغنائم، غير أن هذه النجاحات العسكرية التي حققها الملك البابلي لم تُحل دون تقدم الجيش المصريو قادمًا من مدينة كركميش، بعد أن عبر نهر الفرات باتجاه الجيش البابلي المعسكر في مدينة قورماتي، فأجبره على الانسحاب والعودة إلى بابل.[٩٥]

لكن مع سقوط كركميش في يد نبوخذ نصر الثاني في عام ٦٠٥ ق.م، انتقلت كوموخ بشكل مفترض إلى البابليين، وربما الميديين.[٩٦]

خَاتِمَةٌ

من خلال هذه الدراسة التي تناولت التاريخ السياسي لمملكة كوموخ الحيثية الحديثة يمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

- لا تبين الأدلة الأثرية أو النصية بشكل قاطع ما إذا كانت مملكة كوموخ قد تأسست في بداية عصر الحديد أم لا، حيث جاءت الإشارات الأولى لكوموخ بوصفها مملكة في السجلات الآشورية التي تعود إلى عام ٨٦٦ ق.م، لكن من المحتمل أن تاريخها بدأ كمملكة فرعية تابعة لكركميش حتى انفصلت عنها في بداية القرن التاسع ق.م، وإن كان هناك مَنْ يرى أن تاريخها كمملكة مستقلة بدأ في القرن العاشر ق.م وليس القرن التاسع ق.م، وذلك على أساس أن الملك المعروف باسم تودهاليا في نقش (Kelekli)- والذي تزوج من ابنة ملك كركميش في القرن العاشر ق.م - هو أحد ملوك كوموخ، غير أن هذا الرأي لا تدعمه الأدلة الأثرية بشكل حاسم.
- ربما تشير تسمية ملوك كوموخ بأسماء ملوك الدولة الحيثية في العصر البرونزي المتأخر إلى أن الأسرة الملكية فيها من البداية إلى النهاية ربما كانت فرع من العائلة الملكية الحيثية التي حكمت الأناضول في عصر البرونز المتأخر.
- سلكت كوموخ مسلكًا رمي إلى مهادنة الآشوريين في سياستها الخارجية، فبقيت بمعزل عن كثير من المحن، وجنت فوائد التجارة، وحافظت على استقلالها، كما كان من ثمار هذه السياسة أن كسبت كوموخ الدعم العسكري الآشوري في صراعاتها الإقليمية مع الدويلات الحيثية المجاورة، ويستدل على ذلك من قيام الملك الآشوري أداد نيراري الثالث في عام ٨٠٥ ق.م بترسيم الحدود بين مملكتي كوموخ وجورجوم لصالح كوموخ في عهد ملكها شوبيلوليوما، وتكرر نفس الشيء في عام ٧٧٣ ق.م على يد الملك الآشوري شلمنصر الرابع.
- كان التحالف الآشوري مع كوموخ في غاية الأهمية أيضًا بالنسبة للآشوريين وقتذاك، ويعزي ذلك إلى سيطرة كوموخ على مخاضة بازارجيك، حيث اتاحت للآشوريين الوصول إلى الطرق الشمالية الغربية نحو جورجوم وجبال طوروس الغنية بالموارد المعدنية، زد على ذلك أن التحالف مع كوموخ كان بمثابة كبح جماح لقوة كركميش، حيث أصبحت كركميش بين الحليف الآشوري في الشمال والحضور العسكري الآشوري في تل برسيب في الجنوب.
- نجح الملك الأورارتي ساردوري الثاني في فرض السيادة الأورارتية على مملكة كوموخ في عام ٧٤٦ ق.م، غير أن الملك الآشوري تجلات بلاسر الثالث سرعان ما استعاد السيادة الآشورية على كوموخ، وذلك عندما تمكن من دفع الأورارتيين إلى المرتفعات الآرمنية على أثر هزيمتهم في موقعة كشتان في عام ٧٤٣ ق.م.
- استردت كوموخ في عهد ملكها الأخير موتاللي صفتها بوصفها العميل الآشوري المفضل، لدرجة أن سرجون الثاني أضاف أراضي مملكة ميليد- عندما تم تقطيع أوصالها على أيدي الآشوريين في عام ٧١٢ق.م- إلى ممتلكات موتاللي، كما منحه بعض أراضي سمعال، بيد أن هذه الشراكة ذات المنفعة المتبادلة انتهت فجأة وبصورة وحشية، وذلك عندما امتنع موتاللي عن دفع الإتاوة للآشوريين، وأرتمى في أحضان الأورارتيين، الأمر الذي دفع سرجون الثاني إلى القيام بحملة عسكرية نجحت في الإطاحة بموتاللي، وتحويل كوموخ إلى مقاطعة آشورية في عام ٧٠٨ق.م.

قائمة الاختصارات

ARAB	*Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol.2, Chicago, 1927.*
ARRIM	*Annual Review of the Royal Inscriptions of Mesopotamia Project, Toronto.*
A.St.	*Anatolian Studies, London.*
CAH	*The Cambridge Ancient History, Cambridge.*
CHLI I	*Hawkins, J.D., Corpus of Hieroglyphic Luwian Inscriptions. Vol. I: Inscriptions of the Iron Age, Berlin and New York, 2000.*
IRAQ	*British School of Archaeology in Iraq, London.*
JHA	*Journal for the History of Astronomy, Cambridge.*
JNES	*Journal of Near Eastern Studies, Chicago.*
MJNE	*Monographic journals of the Near East, Malibu.*
NEA	*Near Eastern Archaeology, Atlanta*
OEA	*The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Oxford University Press, Oxford, 1997.*
RIA	*Reallexikon der Assyriologie und Vorderasiatischen Arch äologie, Berlin and New York: de Gruyter*
RIMA2	*Grayson, A.K., Assyrian Rulers of the Early First Millennium BCI (1114-859), The Royal Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian Periods, Vol. 2.Toronto, 1991.*
RIMA3	*Grayson, A.K., Assyrian Rulers of the Early First Millennium BCII (858-745), The Inscriptions of Mesopotamia, Assyrian Periods, Vol.3, Toronto, 1996.*
SAAB	*State Archives of Assyria Bulletin, Padova.*
UKN	*Melikishvili, G.A., Urartskie klinoobraznye nadpisi, Moscow, 1960, (Texts are cited by number).*

خريطة توضح مملكة كوموخ وممالك شمال سوريا وجنوب الأناضول في عصر الحديد. نقلاً عن: Bryce, T., *op. cit*., p. 46.

الهَوامِشُ:

(1) Bryce, T., *The Routledge Handbook of the Peoples and Places of Ancient Western Asia: The Near East from the Early Bronze Age to the Fall of the Persian Empire*, Routledge, London, 2009, p. 397.

(٢) **أرباد**: تقع أرباد شمال حلب، وكانت عاصمة دولة بيت أجوشي الآرامية، أما اسمها الحالي فتل رفعت وتقع في قضاء إعزاز، ويرد اسم أرباد في بعض المراجع في صورة أرفاد، انظر: هنري.س عبودي: **معجم الحضارات السامية**، الطبعة الثانية، طرابلس، ١٩٩١، ص٦٣.

(3) Hawkins, J.D., "Kummuh" in: *RIA VI,* Berlin, 1983, p. 338; Tanrıöver, M.D., *The Transition from Late Bronze Age to the Early Iron Age in The Upper Euphrates and the Amuq: AStudy of Settlement Patterns*, Master's thesis, Bilkent University, 2010, p. 42.

(4) Hawkins, J.D., *CHLI I*, Walter de Gruyter, Berlin, 2000, p. 331.

(٥) **باخوا:** لم يُحدد الموقع الدقيق لهذه المدينة حتى الأن، ولكن هناك مَنْ يُحدد موقعها بوجه عام بالقرب من نهر الفرات الأعلى في شرق الأناضول، انظر:

Bryce, T., *op. cit.*, p. 521.

(٦) **إيشوا:** ظهرت هذه الدويلة في عصر البرونز المتأخر في شمال بلاد ما بين النهرين، وتمتد ما بين جنوب نهر مراد سو وشرق نهر الفرات وربما حتى نهر دجلة الأعلى، وكان مركزها يقع ضمن محافظة إيلازيغ التركية، انظر:

Ibid., p. 343.

(7) Ibid., p. 330.

(8) Id.,*"Kummuh"*, p. 338.

(9) Belmonte, J.A. & Gonzalez-Garcia, A.C., "*Antiochos's* Hierothesion at Nemrud Dag Revisited: Adjusting the Date in the Light of Astronomical Evidence" in: *JHA41,* Cambridge, 2010, p. 1.

(10) Hawkins, J.D., *op. cit.,* p. 338; Müller, U., *Die Eisenzeitliche Keramik Von Lidar Höyük*, PhD, Universität Heidelberg, 1996, p. 8.

(11) Parker, B.J., *The Mechanics of Empire*, PhD, Los Angeles, 1998, p. 297; Ersoy, S., *M. ö.ll. Binde Mezopotamya- Anadolu Siyasi Müsasebetleri*, yükseklisans tezi, Ankara, 2008, p. 103.

(12) Bryce, T., *The World of The Neo-Hittite Kingdoms: A Political and Military* History, Oxford University Press, Oxford, 2012, p. 110.

(١٣) **عصر الحديد:** يمتد هذا العصر في جنوب شرق آسيا منذ عام ١٢٠٠ق.م وحتى عام ٥٣٨ ق.م، ويقسم إلى ثلاث مراحل رئيسة يمكن توضيحها على النحو الآتي: مرحلة عصر الحديد الأول (١٢٠٠-١٠٠٠ق.م). مرحلة عصر الحديد الثاني (١٠٠٠- ٥٨٦ ق.م). مرحلة عصر الحديد الثالث (٥٨٦- ٥٣٨ ق.م)، انظر:

Edelman, D.V., *The Origins of the Second Temple: Persian Imperial Policy and the Rebuilding of Jerusalem*, Routledge, London, 2014, p. 289.

(14) *Loc. cit.*

(15) Ekinic, M., *Adiyamanil Çevre Durum Raporu, Adiyaman*, 2011, p. 185.

(16) Bryce, T., *op. cit.,* p. 110.

(١٧) **نقش Kelekli**: عُثر على هذا النقش في عام ١٩٠٨م في قرية (Kelekli) الواقعة بالقرب من الضفة الغربية لنهر الفرات في مقاطعة غازي عنتاب التركية، ويوجد حاليًا متحف في (Vorderasiatisches) في برلين، ويُؤرخ بالقرن العاشر قبل الميلاد، انظر:

Hawkins, J.D., *CHLI I,* pp. 92-3; Marchetti, N., *" Karkemish on The Euphrates: Excavating a City's History"*, *in: NEA* 75 /3, Atlanta, 2012, p.132.

(18) Bryce, T., *op. cit*., p. 110.

(19) Grayson, A.K.," Assyria: Ashur-Dan II to Ashur Nirari V (934-745 B.C.)*",* in: *CAH 3/ 1*, Cambridge, 2003, p. 256; Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 331.

(20) Şahin, S.," Kommagene Ülkesive Tanrılar Tahtı Nemrut Dağ", in: *Tanrılar Dağı Nemrut*, Başgelen, N., (ed.), Arkeoloji ve Sanat Yayınları, İstanbul, 1998, p. 38.

(٢١) **باقرخوبونو**: تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات في منطقة بازارجيك المعاصرة، وكانت تشكل مدينة حدودية بين مملكة كوموخ ومملكة جورجوم، انظر:

Bryce, T., *The Routledge Handbook of the Peoples and Places of Ancient Western Asia*, p. 526. Edelman, D.V., *The Origins of the Second Temple: Persian Imperial Policy and the Rebuilding of Jerusalem*, Routledge, London, 2014, p. 289.

(22) Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 331.

(23) Grayson, A.K., *RIMA 3,* University of Toronto Press, Toronto, 1996, pp. 18-9.

(24)Yamada, S., *The Construction of the Assyrian Empire: A Historical Study of the Inscriptions of Shalmanesar III (859-824 B.C.) Relating to His Campaigns to the West*, Brill, Leiden, 2000, pp. 92-4.

(25) Bryce, T., *The World of The Neo-Hittite Kingdoms: A Political and* Military *History,* p. 111.

(26) Hawkins, J.D., "*Kummuh"*, p. 338.

(٢٧) **مدينة" أنا - آشور- أوتر- اصبات"**: كانت تُعرف سابقًا في المصادر الآشورية باسم بيترو، وتحدد هذه المدينة حاليًا بتل أوشيريا (Aushariye) الواقع على الضفة الشرقية لنهر ساجور عند مصبه في نهر الفرات شمالي سوريا، انظر:

Block, D.I*., Israel: Ancient Kingdom Or Late Invention?*, B&H Publishing Group, Nashville, 2008, pp. 231-3; Herrmann, V.R, *Society and Economy under Empire at Iron Age Sam'al (Zincirli Höyük, Turkey)*, PhD, University of Chicago, 2011, p. 37.

(٢٨) أُستخدم مصطلح الدويلات الحيثية الحديثة لتعيين دويلات عصر الحديد التي خلفت الإمبراطورية الحيثية في شمال سوريا وجنوب الأناضول، انظر:

Hawkins, J.D.," Neo-Hittites" in: *OEA 4*, Oxford University Press, Oxford, 1996, p. 126.

(29) Grayson, A.K., *RIMA 3,* p. 23; Block, D.I*., Israel: Ancient Kingdom Or Late Invention?*, B&H Publishing Group, Nashville, 2008, pp. 231-3.

أزهار هاشم شيت: **"الصلات الآشورية مع منطقة حلب (القرن ١٨ق.م-القرن ٧ ق.م)"**، *دراسات موصلية*، العدد الثامن والعشرون، جامعة الموصل، ٢٠١٠، ص٦٨.

(30) Grayson, A.K., *RIMA 3,* pp. 9-19, 21, 34-6.

(31) Winter, I.J., *North Syria in the First Millennium B.C., with Special Reference to Ivory Carving*, PhD, Columbia University, 1973, p. 114.

(32) Bryce, T., *op. cit.,* p. 112.

(٣٣) **مسلة بازارجيك:** عُثر عليها في قرية كيزكابانلي في منطقة بازارجيك (كهرمان ماراش حاليًا) في تركيا، وكانت هذه المسلة بمثابة حد حجري بين كوموخ وجورجوم، وتحتوي على نقشين، حيث احتوى الوجه على نقش للملك أداد نيراري الثالث، في حين احتوى الظهر على نقش من عهد شلمنصر الرابع، وتوجد هذه المسلة حاليًا في متحف كهرمان مراش، انظر:

Kuan, K., *Assyrian Historical Inscriptions and Israelite Judean-Tyrian Damascene Political and Commercial Relations in the ninth-eighth Centuries*, PhD, Emory University, 1994, p. 159.

(٣٤) كانت تُدعي سمورا ـ مات Sammura-Mat في المصادر المسمارية، بينما أطلقت عليها المصادر الكلاسيكية اسم سميرأميس Samiramis، كما عُرفت أيضًا باسم سميرام Samiram، واكتسبت هذه الملكة شهرة كبيرة، ووصُفت بنعوت كثيرة ما بين الجمال والقوة، ونُسجت حولها

الأساطير، ونسبت إليها أعمال خارقة وإنجازات متعددة ترجع إلي الملوك الذين سبقوها أو الذين جاءوا بعدها، ومن هذه الإنجازات إعمار مدينة بابل وفتح مصر وليبيا والهند، كما تنسب لها المآثر الآرامية بناء مدينة مطلة على بحيرة فان شرقي تركيا، علمًا بأن المدينة بناها ملك أورارتي معاصر لها. وعن قصة سميرأميس، انظر:

Thompson, R.C, "An Assyrian Parallel to an Incident in the Story of Semiramis", in: *IRAQ4/1,* London, 1937.

(35) Yildirm, N., "Neo-Assyrian Document found in Anatolia" in*: Ankara Üniversitesi Dil ve Tarih-Coğrafya Fakültesi Tarih Bölümü Tarih Araştırmaları Dergisi*, Sayi 48, 2010, p. 125.

(36) Grayson, A.K., *RIMA 3,* p. 205.

(٣٧) وجد هذا النص مدونًا على مسلة من منطقة دور-كاتليمو Dur-Katlimmu (تل الشيخ حمد المعاصرة)، ويُوجد بجانب الكتابة مشهد منحوت بالنحت البارز، يمثل بقايا من صورة لرأس الملك ورموز إلهية، وهناك فقرة تمهيدية تبين اسم الملك وصفاته ونسبه، ووصف مختصر للحملة التي جردها على الجبهة الغربية، وهزيمة أتارشومكي الأربادي، انظر:

Ibid. p. 206.

(38) *Ibid.,* p. 207.

(٣٩) استمرت التحالفات المناهضة للدولة الآشورية وحلفائها في المنطقة حتى ذلك الحين، ويَستدل على ذلك من مسلة زاكور، التي تؤرخ بمسلة بازارجيك، والتي تروي الحملة العسكرية التي جردها التحالف السوري بزعامة ملك أرام دمشق المدعو بَرْ-هاداد Bar-Hadad ضد زاكور ملك حماة، وكان التحالف يتألف من ١٦ دويلة نذكر منها أرباد وكيو وجورجوم وسمعأل، وقد حاول الحلفاء الاستيلاء على حماة، غير أنهم فشلوا، المهم هنا أن كوموخ لم تشارك في التحالف على عكس جورجوم، وبالتالي فمن المنطقي أن يفصل في النزاع الحدودي بين كوموخ وجورجوم لصالح كوموخ على حساب جورجوم، انظر:

Kuan, K., *op. cit.,* pp. 162-4.

(40) Donbaz, V., "Two Neo-Assyrian Stelae in the Antakya and Kahramanmaras Museums", in: *ARRIM 8*, Toronto, 1990, pp. 5-24.; Galil, G., "Conflicts between Assyrian Vassals", in: *SAAB VIII*, Padova, 1992, p. 58.

(41) Grayson, A.K., *RIMA 3,* p.240; Galil, G., *op. cit.,* p. 58.

(42) *Loc. cit.*

(43) Arbino, G.P., *Effects of Neo-Assyrian Administration on Populations West of the Euphrates,* PhD, the Faculty Golden Gate Bapist Theological Seminary, 1995, p. 216.

(٤٤) **نقش بوي بِيَبناري**: عُثر على هذا النقش في قرية بوي بِيَبناري في عام ١٩٣١م، ويُوجد حاليًا في متحف الحضارات الأناضولية في أنقرة، انظر:

Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 334

(45) *Ibid.,* pp. 334-6.

(46) Bryce, T., *op. cit.,* p. 113.

(47) Bossert, H., "Reisebericht aus Anatolien", in: *Or 28/3*, Roma, 1959, p. 73; Hawkins, J.D., *CHLI I,* pp. 340 -1; Charles, B., *Historical Dictionary of The Hittites,* Scarecrow press, Lanham, 2004, p. 188.

(48) Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 332; Bryce, T., *Ancient Syria: A Three Thousand Year History,* Oxford University Press, Oxford, 2014, p. 130.

(49) Konakçi, E., *Urartu Kralliği'nda Toplu Nüfus Aktarimlar ve bu Uygulamanin Urartu Kültürüne Etkileri*, Yükseklisans Tezi, Izmir, 2006, p. 79.

(٥٠) **أويتا**: حددها ميكيسشفيلي بالمدينة الملكية الخاصة ب lalla ملك ميليد، والتي ضمها شلمنصر إلى حظيرة الدولة الآشورية منذ عام ٨٣٦ ق.م، وبناء على ذلك فإن المدينة تقع على الحدود بين ميليد وكوموخ على هضبة طوروس، التي يخترقها طريق واحد يربط المنطقتين، انظر:

Astour, M.C., "The Arena of Tiglath-Pileser III's Campaign against Sarduri II (743 B.C.)", in: *MJNE2/3,* Malibu, 1979, pp. 5-6.

(٥١) **حلبا**: إحدى المدن الملكية في بلاد كوموخ، وترد فى النصوص الآشورية بصيغة خلبا، وقد تكون خالفاني الحالية على الضفة الشرقية لنهر الفرات إلى الجنوب، انظر:

Diakonoff, I. M. &Kashkai, S. M., *Repertoire Geographique des Textes Cuneiformes IX, Geographical Names According to Urartian Texts*, Reichert, Wiesbaden, 1981, p. 39.

(٥٢) **بارالاني**: على الرغم من أن مدينة بارالا parala غير معروفة، فلا يمكن تحديدها بعيدًا عن جبال طوروس؛ لأن سارودري أوقف تقدمه، قبل أن يصل إلى عاصمة كوموخ التي حملت الاسم نفسه، وواصل سيره إلى الموقع الذي عُرف لاحقًا باسم ساموساتا (سمسات حاليًا)، انظر:

Astour, M.C., *op. cit*., pp. 5-6.

(53) Melikishvili, G. A., *UKN*, Moscow, 1960, No.155E.

(54) Na'aman, N., *Ancient Israel and its Neighbors Interaction and Counteraction*, Vol.1, Eisenbrauns, Winona Lake, 2005, p. 27

(٥٥) تعزي حالة الضعف التي أصابت الدولة الآشورية في هذه الفترة إلى عدة أسباب نذكر منها الآتي:

أولاً: ضعف السلطة المركزية؛ بسبب الرقعة الجغرافية الكبيرة للإمبراطورية الآشورية نتيجة فتوحاتها العسكرية، مما أدى إلى صعوبة السيطرة على الأقاليم الواقعة بعيدًا عن مراكز السلطة الآشورية، فانتشر الفساد الإداري المتمثل في ظلم كبار الموظفين والنبلاء وحكام الأقاليم، واستغلالهم لمناصبهم في تحقيق مصالحهم الذاتية على حساب الشرائح الاجتماعية الأخرى.

ثانيًا: صغر سن بعض الملوك مثل أداد نيراري الثالث (٨١٠ – ٧٨٣ ق.م) الذي أصبح تحت وصاية والدته لمدة خمس سنوات، وبعدها مارس هذا الملك مهامه في إدارة الدولة، وأسهم ضعف الملوك الآشوريين الذين لم يكونوا بمستوى الملوك الذين سبقوهم في القيادة العسكرية وإدارة الدولة، حيث قل عدد الحملات العسكرية وتقلصت حدود الدولة، انظر: محمد دسوقي عبد العزيز: **التوسع الآشوري غربًا في عصر الإمبراطورية الثانية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص٢٠-٢٣، وكذا:

Winter, I.J., *op. cit*., pp. 129-130.

(56) Arbino, G.P., *op. cit*., p. 215.

(57) Konakçi, E., *op. cit.,* p. 79-80.

(58) Winter, I.J., *op. cit.,* p. 130.

(59) *Ibid.,* p. 131.

(60) Grayson, A.K., "Assyria: Tiglath Pileser III to Sargon II (744 – 705 B.C)", in: *CAH 3/2*, Cambridge, 2008, p. 74.

(61)Parker, B.J., *The Mechanics of Empire*, PhD, Los Angeles, 1998, pp. 93-94.

(٦٢) جباغ قابلو: **"التنافس الآشوري الأورارتي للسيادة على الشرق القديم خلال النصف الأول من القرن التاسع والقرن الثامن قبل الميلاد"**، *دراسات تاريخية*، العددان٧١-٧٢، جامعة دمشق، ٢٠٠٠، ص٦٧ – ٦٨.

(٦٣) لمزيد عن هذه الحملات، انظر:

Brown, S.C., *Kinship to Kingship: Archaeological and Historical Studies in the Neo – Assyrian Zagros*, PhD, University of Toronto, 1979, pp. 85- 93. "

(64) Kurt, M., *Urartu Devleti*'nin Bati Politikasi ve Yayilim, in: *Ksù Socyal Bilimler Dergisi 7*, Kahramanmaraş Sütçü İmam Üniversitesi, 2010, p. 83.

(٦٥) مارغريت ريمشنايدر: **أورارتو مملكة أرمينية قديمة في أحضان أرارات**، ترجمة محمد وحيد خياطة، حلب، ١٩٩٣، ص ١٠٥.

(66) Treister, M.Y., *The Role of Metals in Ancient Greek History*, E.J. Brill, Leiden, 1996, p. 161.

(٦٧) يلاحظ أن آواريكوAwariku ملك كو في كيليكا لم ينضم لهذا التحالف، حيث أوضحت مسلة إنسيرلي Incirli، التي عُثر عليها على بعد ثلاثين كيلو مترًا شمال شرق سمأل، أن هذا الملك ظل مواليًا للآشوريين ضد أورارتو، وجراء ذلك منح بعض أراضي كوموخ كمكافأة له لعدم انحيازه لجانب أورارتو، انظر:

Herrmann, V.H.R., *op. cit,* p. 74.

(٦٨) مارغريت ريمشنايدر: المرجع السابق، ص٩٩ ، ١٠٥.

(٦٩) أ.ر. جرني: **الحيثيون**، ترجمة محمد عبد القادر محمد، مراجعة فيصل الوائلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٦٨.

(70) Mackenzie, D.A., *Myths of Babylonia and Assyria*, The Gresham Publishing company 34 Southampton st.Strad, London, p. 446.

(71) Dubosky, P.," Tiglath-Pileser III's Campaigns in 734 – 732 B.C.: Historical Background of Isa7: kgs 15 – 16 – and 2 chr 27 – 28 ", in: *Biblic 87*, Rome, 2006, pp. 163 – 64.

(73)Astour, M.C., *op. cit.,* pp. 14-15.

(٧٤) **بيسني**: تقع في إقليم أديامان حاليًا، انظر:

Kaya, M.S., *The Zaza Kurds of Turkey*, I.B. Tauris, London, 2011, p.5.

(75) Astour, M.C., *op. cit*., pp. 15- 16.

(76) *Ibid.*, p. 16.

(77) Parker, B.J., *op. cit*., p. 299.

(٧٨) مارغريت ريمشنايدر: المرجع السابق، ص١٠١.

(79) Na'aman, N., *op. cit.,* p. 27.

(80) Astour, M.C., *op. cit*., pp. 16 – 17.

(81)Winter, T.J., *op. cit*., p. 132; Dubovsky, B., *A study of the Neo-Assyrian Intelligence Services and Its Significance for 2 Kings 18-19*, PhD, Harvard University, 2005, p. 40.

(82) Konakçi, E., *op. cit*., p. 80.

(83) Parker, B. J., *op. cit.,* p. 300; Winter, I.J., *op. cit.,* p. 131.

(84) Kuan, K., *op. cit*., pp. 262, 269, 271, 280-1; Hawkins, J.D., *CHLII,* p. 332; Grabbe, L.L., *Ancient Israel: What Do We Know and How Do We Know It?*, T & T Clark, London, 2007, p. 134.

(85)Radner, K., Hatti's heirs: "Kummuhi and the other Neo-Hittite kingdoms", *Assyrian empire builders*, University College London, 2012 [http://www.ucl.ac.uk/sargon/ essentials/countries/hatti/], Content last modified: 5 Nov 2012.

(86) Bryce, T., *The World of The Neo-Hittite Kingdoms: A Political and Military History,* p. 114.

(87) Herrmann, V.H.R., *op. cit.*, p. 54.

(88) Arbino, G.P., *op. cit*., p. 257; Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 332; Gilibert, A., *Syro-Hittite Monumental Art and the Archaeology of Performance,* Walter de Gruyter, Berlin, 2011, p. 17.

(٨٩) مارغريت ريمشنايدر: المرجع السابق، ص١٤٥.

(90) Luckenbill, D.D., *ARAB*, Vol.2, The University of Chicago Press, Chicago, 1927, 64.

(91) Lederman, R.C., *The Designation of Foreign Territory in Assyrian Royal Inscriptions of the Sargonid Period*, PhD, University of Pennsylvania,1988, p. 258.

(92) Hawkins, J.D., *CHLI I,* p. 332.

(٩٣) أحمد حبيب سنيد الفتلاوي: "**العلاقات البابلية المصرية في العصر البابلي الحديث ٦٢٦-٥٣٩ ق.م.**"، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، مجلد (٢)، العدد (١)، جامعة بابل، ٢٠١٢، ص٣١٣.

(94) Grayson, A, K, *Assyrian and Babylonian Chronicles*, Eisenbrauns, Winona Lake, 1975, pp. 97-8.

(95) *Ibid*., p. 98.

أحمد حبيب سنيد الفتلاوي: المرجع السابق، ص٣١٤.

(96) Hawkins, J.D., *"Kummuh"*, p. 340; Bard, K.A., *Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt*, Routledge, New York, 2005, p. 152.